رقصة الفرح

في الحي الهادىء المليء بالأشجار

يمتلئ الشارع الفرعي بزينة كثيرة.. تمامًا كما اعتاد الدكتور خالد أن يفعل في كل مرة من زواج أبنائه.

فروع النور المنسدلة على بيت الدكتور، تملأ الحي بهجة، وتوحي بأن الدار اليوم سيزف عروسًا جديدة إلى دار جديد، ودنيا جديدة!

هاهي أصوات الموسيقى الجميلة، وضحكات أصدقاء العروس والأقارب تعلو كلما اقتربت من الدار.

إنه البيت الذي يُشع فرحًا.. وكيف لا.. ومن البيوت ما يكون له طعمٌ في الفرح مثير ورائع !

وليس صوت البهجة فقط كلما اقتربت.. بل إنها رائحة الكعك المثيرة للشهية، التي تصر زوجة الدكتور خالد أن تعدها بنفسها لضيافة المهنئين من الجيران والأحباب أيضا، فتهيىء لك رائحة الكعك تلك.. أن العيد قد أتى قبل أوانه!

إنها "سهام" امرأة أربعينية.. اكتمل لها من نصاب الأنوثة والجمال، كما اكتمل لها من نصاب الحياة ما ليس بالقليل !

هاهي بداخل المطبخ والعمل على قدمٍ وساق في إعداد حلوى الفرح، وفي إعداد طعام العروسين، تماما كما أهدت أولادها في أفراحهم!

تقف وقد أخرجت من الفرن الكعك الساخن ذا الرائحة الشهية.. لتنثر عليه حبات السكر الناعم وتعده للتقديم،

والذي قد فرغت للتو من إعداده

تلتفت..

هلا كففت يارجل عن ملاحقتي بعينيك طوال اليوم !

بابتسامته المعتادة: وكيف أكُف؟ وأنت اليوم أجمل من ابنتك العروس !

تضحك سهام وتقول: بل أنت الأجمل دائما!

هلا تركتني فأعد الطعام.. وإلا جلست إليك نتغزل سويا.. ويعد غيري طعام العروس !

لا لا، ياله من عقاب لابنتك لاداع منه.. فلا أجمل من طعام تعدينه أنتِ!

تضحك ثانية وتكمل إعداد مالذ وطاب لعشاء العروس.. التي أوصتها بما تحب من صنوف الطعام .

ما إن فرغت سهام وغلفت الطعام.. حتى نادت على (ابنها البكري).. هلَّا أخذت الطعام وأوصلته إلى شقة أختك؟

- طبعا ياأمي.. (ربنا يديكي الصحة والعافية.. وعقبال ماتعملي لولادنا)!

تربت الأم على كتف ابنها وتبتسم قائلة: (تعيش ياحبيبي).

خرجت سهام وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة رضا.. كل شيء يسير على مايرام.. العروس في غرفتها تزينها صديقاتها.. البيت يضج بأصوات البهجة والفرح.. وكيف لاتشعر بالرضا وأسمى ماترجوه كل أم هو فرحة في دارها، وسعادة لأبنائها كتلك!.

تطرق باب العروس.. فتفتح لها إحدى صديقات ابنتها.. لتتلاقى عيناها وعينا ابنتها.. فتقول العيون قبل أن تنطق الشفاة كلمات من الحب كثيرة، وتُذكِر بحكايات من العمر كله .

ماأجملك حبيبتي.. أنتِ اليوم جميلة كالأميرات.. فليكتب لك الله التوفيق في ليلتك وفي حياتك.. وتطبع قبلة على جبين ابنتها وتأخذها في حضن طويل.. فتمنع العروس دموعًا كثيرة.. حتى لا تبدأ في الزينة من جديد!

في حديقة المنزل.. يقف أحمد وسط مجموعة من الأصدقاء والأحباب يتسامرون ويضحكون، يستقبل مكالمة هاتفية..

- دكتور سعيد

- أهلا أحمد

لن أوصيك اليوم على أمك.. اليوم مهم جدًا حتى لايحدث أي انتكاس.

يطرق برأسه، طبعا دكتور سعيد.. طبعا.

تصعد الأم إلى الدور العلوي من المنزل لتغير ملابسها وتعد نفسها للعرس الذي أوشك على البدء.

أليس هو اليوم الموعود ياخالد؟

أتمنى أن يكون هو اليوم، فأنا لا أطيق مزيدًا من الانتظار.

تمضي سهام وتكمل في إعداد نفسها للعرس.

وكلما مر الوقت زاد الهرج!

وبدأ جميع من في الدار يسرعون.. كلٌ يعد نفسه لساعة الفرح.

تزوجت سهام بالدكتور خالد وهي صغيرة.. أحبها وأحبته، منذ أن نبض القلب، العين لم تنظر لسواه، والقلب لم ينشغل بأحد غيره!

لم تكن علاقة زواج عادية

إنك لاتدري.. أهي روحٌ واحدة وانقسمت في جسدين! فالأمر أكبر من الحب بكثير!

يوشك الجميع أن يخرج من البيت لقاعة الفرح.. حيث سيتم عقد القران والزفاف.

ارتدت سهام ملابس الفرح، أنيقة كعادتها، مبهرة للجميع بذوقها الرفيع، تنزل من أعلى درجات السلم كأنها ملكة تتأهب لزفاف ابنتها الأميرة.

ماما! ماأبهاكِ!.. ويقبل يديها ويحتضنها ابنها أحمد، وينظر إلى وجهها نظرة حب كبير، ولا يدري لم تلك القبضة التي وقعت في صدره فجأة! وكأنها نغمة خارج السياق تمامًا!

ها قد وصل العريس..

تعلو زغاريد الفرح وهرج المدعوين، وهمسات الفتيات، وكلٌ يحاكي أمانيه ويتمنى الأماني!

تخرج العروس من غرفتها بثوبها الأبيض البهي، مزين بفصوص كاللؤلؤ لامعة، يغطي وجهها قطعة من "التل الشفاف"، تطل منه ملامحها، جميلة بابتسامة خجلة، لم تستطع أن تخفي الفرحة الغامرة،وكيف لمن سُقيَ الحب أن يخفيه.

إلى قاعة الفرح يتجه الجميع، ولم يبق في الدار إلا فروع النور المنسدلة، تتراقص أضواؤها على شرفته.

في قاعة الفرح..

البهجة تعم المكان، الأنوار لامعة، الملابس أنيقة، كل شيء في أبهى صورة.

يلتقط الأحباب الصور في انتظار المأذون لعقد الزواج، هاهو قد أتى، يتقدم العروسان ليجلسا إلى جواره، تتعالى الأنفاس ودقات القلوب، ويُظهر التصوير لاحقا رعشة الأيادي وتردد الكلمات.

تقف سهام وابنها أحمد على باب القاعة في استقبال المزيد من الضيوف والأحباب جاءوا ليشهدوا ذلك الفرح البهي.

ويقف بالقرب منهم الدكتور سعيد.

تلتفت إلى ناحية المأذون ترى ابنها الكبير يجلس إلى جوار المأذون وكيلًا للعروس.

تعلو وجهها الدهشة

أحمد.. نعم ياأمي..

لم لاتنادي على أبيك قبل بدء العقد.. كيف يجلس أخوك مكان أبيه؟!

يطأطئ أحمد رأسه، ويرفع عيناه التي تمتلىء بالدموع وكأنها كانت تنتظر إشارة واحدة لتفيض، أحاول أن أتناسى أن أبي ليس معنا اليوم، أبي غاب عنا بموته من ٣ سنوات.

يأخذ بيد أمه بعيدًا عن القاعة قليلا قبل مزيد من الارتباك.

الدكتور سعيد على أهبة الاستعداد، فهو يتوقع تمامًا ماسيحدث!

لازالت كل يوم تحدثه.

كل يوم هو موجود.

فليقولوا مايقولوا أنه مات.. هي تأبى أن تصدق ذلك.

لم ينقذ الموقف إلا حقنة مهديء من الطبيب، وحضن دافء من ولد حنون لأمه التي لاتصدق مهما مرت السنوات أن حبيبها قد مات!

هاهي تنام بين يديه بعد أن هدأت.

تحلم أنها في قاعة الفرح ذاتها.

وترى كل الناس ولكن كأجساد بلا عيون أو ملامح.. فتجري خائفة فتصطدم بأحدهم.. إنه هو، بابتسامته.. يمسك بيديها فتطمئن، ويدعوها لرقصة هادئة.

فتدور بين يديه وتدور كأنها فراشة في حلم جميل.

لقد عانقت روحي روحك.. كل الناس في عالمهم وأنا في عالمك، أنا فيك وبداخلك، لقد رقصت بين يديك أجمل رقصة فرح رقصتها عروس بين يدي حبيبها، فيها رقص قلبي بين ذراعيك في انتظار حضنٍ طال انتظاره.. لقد قصصت لي وقصصت لك، أيامًا وسنوات وأنا أدور بين ذراعيك، وبلقاء عينيك.. عاد العمر الذي ضاع في غيابك، وكيف لا.. وأنت كل العمر.. لم تكن غائبا، كلهم غائبون.. وأنت كل الحضور.

تمت

بقلم / الشيماء قناوي